

الفصل الخامس والعشرون

[حقائق]

عندما تلقى الحارس ذلك الاتصال وأنهاه بجيبين عابس، سألته بقلق "هل أنقذوا أمجد؟ أهو بخير؟" هز الحارس رأسه إيجاباً وقال "أجل.. لكن أمرنا جميعاً قد كشف.. ويجب أن نتخلى عن هذه المركبة الآن"

كان يقود المركبة بشكل محاذٍ للغابة باتجاه المنجم الذي كنا نعمل فيه سابقاً، وقد قال لي إن نقطة التقائنا لن تكون بعيدة عنه.. لكنه الآن قد اقترب من الغابة وأوقف المركبة لينزل منها.. فعلت المثل وأنا أراه يتخلى عن جهاز الاتصال ويتركه في المركبة قبل أن يحمل سلاحه ويقول لي "لنسرع قبل أن نواجه أي مصاعب أخرى"

تبعته بصمت ونحن ندخل الغابة ونركض بأسرع ما نقدر.. سألته ونحن نتجاوز الأشجار في طريق متعرج "أتعرف وجهتنا بالتحديد؟" أجابني "أجل.. لا تقلقي"

لم أكن بقادرة على نبذ القلق تماماً.. فموقفنا كله مقلق من جميع النواحي.. سرنا لمسافة طويلة وقد بلغ مني التعب مبلغه.. رغم أنني قضيت أياماً لا بأس بها أقطع هذه الغابة جيئة وإياباً، إلا أن الحالة التي مرت بي قبل أن يقبضوا عليّ لازالت آثارها واضحة في.. صدري يضيق لأقل مجهود، وأشعر بعسر في التنفس يجعلني متعبة بشكل دائم..

رأيت الحارس يخفف سرعته ففعلت المثل بدوري وأنا أنظر لما ينظر له.. فتوقفت فجأة عن السير وأنا أرى أمجد أمامي.. كان وليد يقف على مبعدة، يتجادل بحدة مع أمجد الذي كان مطرقاً والضيق يبدو شديداً على ملامحه.. ولما لمحنا أمجد اتسعت عيناه وهو ينظر لي.. كان شكلي مزرياً، بدوائر سوداء تحت العينين وشحوب الوجه وشعر غير مهندم.. أعدت خصلات شعري للوراء وأنا حائرة فيما أقول.. كنت سعيدة برؤيته بخير.. وفي الوقت نفسه حانقة لأنه أعادنا لنقطة الصفر، ولأنه عرض أدهم وبسمة والآخرين للخطر بغير سبب مفهوم كما أرى.. لكنه لم يدع لي فرصة لقول شيء وهو يدفع وليد من طريقه ويندفع نحوي غير مبالٍ بالآخرين.. وفي ثانية كان قربي وأحاطني بذراعيه وضممني إليه بقوة شديدة.. فوجئت بهذا، فدفعته بقوة بردٍ فعل تلقائي لأبعده عني ووقفت أنظر له بعينين متسعيتين.. نظر لي بصدمة للحظات تحولت لشيء من المرارة قبل أن يخفض بصره بصمت، ورأيت وليد وبقية الحراس يبتعدون عنا مما أخرجني أكثر..

غمرني حرج شديد وضيق لرأى مرارته.. ولم أستطع التفوه بكلمة وأنا أخفض بصري بدوري، وقد ضاع عتابي بين ثنايا خلجي.. ثم سمعت أمجد يقول بصوت بدا متهدجاً "الحمد لله أنك بخير يا حمراء.. سامحيني.. كدت تموتين بسببي.. سامحيني أرجوك"

تساءلت بحيرة تغلبت بها على حرجي "لماذا تقول ذلك؟ أتعلم ما الذي أصابني يومها؟"

نظر لوجهي بنظرة حزينة، ثم عاد يخفض بصره مجيباً "لم أدرك ما قد يحدث إلا متأخراً، ولم أعلم أنه سيحدث بهذه السرعة.. ولو حدث لك شيء.. لو أصابك أي ضرر.. لما سامحت نفسي أبداً.."

قلت بإلحاح "ما الذي جرى لي؟ اشرح لي الأمر ولا تدعني أتخط في الظلام"

فأمسك يدي وجذبني قائلاً "لنبتعد عن هذا المكان أولاً.. ثم سأشرح لك كل شيء.. ولبسمة وأدهم أيضاً فهما لا يعلمان شيئاً مما يجري هنا"

ظلمت بدهشة من أمري وإن لم أعترض وأنا أتبعه بشيء من العسر.. مازلت أشعر بتعب وبضعف في أطرافتي.. لكنني دست على تعبي ولم أظهره، وتبعته بصمت، حتى رأينا وليد والحراس يجلسون في بقعة غير بعيدة عنا، فجذبت يدي من يده بحرج، لكنه استعادها من جديد وضغط عليها بقوة قائلاً لوليد "هيا بنا قبل أن يحضر المزيد من الحراس.."

فقال وليد مقطباً "حسناً.. لكنني لن أعفيك من مسؤولية ما فعلته.. لنذهب"

ونظر نحوي مضيقاً "حمداً لله على سلامتك يا حمراء"

فقلت له "شكراً لكم على إنقاذنا.. لن أنسى لكم هذا"

لم يعلق أحدهم بكلمة ونحن ننطلق في طريقنا للمخبأ الجديد، فوجهت حديثي لوليد متسائلة "كيف نجوتم من الحراس؟ لقد أخبرهم أمجد عن مخبئنا عندما قبضوا علينا.."

قال وليد "لقد قمنا بتغيير موقعنا في اليوم الذي تغيبتما فيه بعد أن كشفنا أحد الحراس.. وبحث عنكما بعدها ولم أعثر لكما على أثر.. شككت بأن تكونا قد سقطتما في الأسر.. وبالفعل جاء دان في اليوم التالي وأخبرنا بخبركما.."

عندها أسفت لأنني حنقت على أمجد رغم العذاب الذي ناله على أيديهم رغم عدم جدوى ذلك.. حتى يده التي تمسك بيدي قد تورمت أصابعها وغزتها كدمات متباينة الألوان..

وددت لو أعتذر.. لو أبدي أسفي لأنني جرحته مرات ومرات.. لكن الكلمات لا تتجاوز حلقي ولساني لا يطاوعني في أي أمر.. لكنني أسفة..... أسفة..

وصلنا للمخبأ الجديد بعد سير طويل ومناورة كبيرة مع فرق الحراس التي انطلقت تبحث عنا.. كان المخبأ هذه المرة وسط غابة متطرفة.. وهو يقع وسط هضبة كبيرة تحيط بها الغابة من كل اتجاه، وفي جانب من الهضبة يقع هذا الكهف ذو المدخل الضيق ولكن قلبه على اتساع مناسب ليضمنا جميعاً.. عندما وصلنا، هبَّت بسمّة تعانقني كالعادة بعينين محمرتين من البكاء.. بينما استقبلنا خالد استقبلاً حافلاً، إذ كان جالساً في جانب المخبأ يحمل أوراقاً في يده، فرفع رأسه عند دخولنا وقال “أوه.. هل حضرتم أخيراً؟”

لم يبدُ أمجد مندهشاً من تصرف عمه، بينما ظللنا نحن ننظر له بدهشة.. أهذا كل ما يستطيع قوله لدى نجاة ابن أخيه من الخطر؟.. اقترب أمجد من خالد قائلاً وهو يزفر “لقد قمت بعمل متهور، لكن الأمور سارت كما ينبغي..”

نظر له خالد بتساؤل، فقال أمجد “لقد نجحت بتعطيم الجهاز المسؤول عن التحكم بالأساور” نظرنا له بدهشة كبيرة بينما هتف خالد “رائع”

تساءل أدهم مقطباً “هذا أمر خطير.. أتعلم معناه؟ لو أدرك السجناء أن الأساور لا تعمل كما يجب، وهم لابد سيدركونه عاجلاً، فسيثورون على الفور ولن يترددوا في استخدام العنف.. ستحدث مذبحة عندها”

قال وليد بشيء من العصبية “هذا كان رأيي تماماً.. لكنه لم يستشر أحداً قبل الإقدام على فعل خطير كهذا”

قال خالد “لقد كان تدمير هذا الجهاز ضمن خطتي، ورغم أنه حدث أبكر مما توقعته، إلا أننا لن نتراجع.. الآن علينا أن نمضي في الجزء الثاني من الخطة”

وعاد ينشغل بأوراقه وكأنه قد أنهى كل ما لديه، بينما زفر وليد وهو يبتعد ليجلس مع الحراس الثلاثة في جانب المخبأ يسألهم عما حدث في المباني الإدارية.. فالتفتُ لأمجد قائلة “أنت مازلت مديناً لنا بتفسير ما حدث لي..”

زفر أمجد قائلاً “عمي هو الأصلح لتفسير الأمر..”

رفع خالد رأسه وهو يتساءل “عمّ تسألون؟”

قال أمجد وهو يجلس قريباً منه “عن العقار الذي حقنونا به عند قدومنا.. عن سبب اختناق حمراء دون سابق إنذار..”

ترك خالد الأوراق التي بيده والتي كما يبدو تحوي بعض خططه وقال “أتعني عقار آريا؟”

أجاب أمجد بالإيجاب والتفت إلينا قائلاً “أتذكرون ذلك العقار الذي أحضره وليد لنا؟ ذلك لم يكن عقار استعادة الذاكرة..”

غلبتنا الدهشة وأدهم يتساءل "إذاً ما كان ذلك؟" نظر أمجد لخالد الذي قال "عقار آريا هو عقار يستخدمونه عند إحضار أي بشري للكويكب لأول مرة، ومن المفترض أن يُحقن به بشكل دوري.."

ظللنا ننظر له بعدم فهم، فاعتدل مكملاً "ذلك العقار تم تطويره في بعض المختبرات السرية التابعة للمؤسسة.. وهو يؤقلم أجسادنا على العيش في هذا الكويكب غير الصالح لسكنى البشر.."

صعقنا جميعاً لهذه المعلومة الغريبة، فكنت أول من نطق وأنا أهتف "غير صالح للبشر؟ لكننا..."

قاطعني خالد قائلاً "تتنفسين بشكل عادي.. لقد أخبرتك للتو.. هذا العقار يؤقلم جسدك للعيش هنا.."

واعتدل مضيفاً "هذا الكويكب يحوي غلافاً جويّاً، لكنه خلافاً للأرض، لا يحتوي على الكثير من الأكسجين، بل نسبة ضئيلة منه ستسبب الاختناق لمن يعيش على ظهره.. حاولوا تجاوز هذه الأزمة بعدة طرق، لكنها كانت غير مجدية أبداً.. لذلك كانت الحاجة لاختراع هذا العقار.."

قلت بغير تصديق "لكن هذا مستحيل.. ماذا عن الأشجار؟"

قال خالد "هذه كانت إحدى الوسائل للتغلب على نقص الأكسجين.. هذه الأشجار معدلة جينياً بحيث تتأقلم مع جو الكويكب وفي الآن ذاته تضخ له كميات كبيرة من الأكسجين كما تفعل على الأرض، لكنها أيضاً كانت محاولة فاشلة"

صمتنا ونحن نحاول هضم هذه المعلومات الصادمة، ثم التفت لأمجد وأنا أتساءل باتهام "أكنت تعلم بذلك عندما أحضرت العقار لنا؟"

قال بسرعة "قطعاً لا.. أتظن أنني كنت سأحرمك إياه لو علمت بأهميته لحياتك؟"

لم ينتبه أمجد أن ما قاله كان اعترافاً منه بما فعله، لكنني لم أعلق فيما قال أدهم باعتراض "كيف ذلك؟ أليس في هذا أي ضرر لنا ولأجسادنا؟"

هز خالد كتفيه معلقاً "لا أهمية لكم لو كان هذا يدور بخلدك.. لكن مما علمته فإن الجسد عادة يتأقلم مع هواء الكويكب ومع العقار لمدة زمنية تتفاوت من شخص لآخر، وبعدها تبدأ أعراض أخرى تظهر عليه لم أعرفها جيداً.. يبدو أن الجسد بعد مدة معينة يتوقف عن الاستجابة للعقار وما يتبع ذلك من مخاطر.. لذلك فإن عمل الإداريين والحراس لا يتجاوز عدة أشهر يتم تغييرهم بعدها.."

تساءلت بسمة بصوت مرتجف "والسجناء؟ ماذا يحلّ بهم بعد ذلك؟"

هز خالد كتفيه دون أن يجيبها، وتلك كانت إجابة بليغة لا تحتاج لسؤال.. فشهقت بسمة وهي ترفع يدها لتغطي فمها وجسدها ينتفض، بينما قلت أنا مقطبة "أنت واثق من هذه المعلومة؟ كيف تعرف كل هذا وأنت مسؤول عن تطوير جهاز الجاذبية فقط؟"

قال خالد بصرامة وكأنه أهين بهذا السؤال "أنا لست أحمقاً بالطبع.. لقد لاحظت الكثير من التصرفات

الغريبة التي تثير أسئلة بلا أجوبة.. وكثير من العلماء الذين شاركوا في تطوير الكويكب وتطوير العقار الذي يستخدم هنا هم أصدقاؤني.. ولقد اشتكى لي أحد أولئك العلماء عن حيرته بسبب عدم قدرتهم على تجاوز هذه النقطة.. أخبرني أنهم بحيرة لسبب عجز العقار عن التأثير على الجسد لمدة طويلة، وما يتبع ذلك من عواقب.. ولهذا السبب بدأت أجمع معلومات عن المؤسسة بغية فضحها.. ولهذا السبب أيضاً قبضوا عليّ واتهموني باطلاً وسجنوني في الكويكب دون وجه حق..”

فصاح أدهم وهو يقف "بأي حق يفعلون هذا بنا؟ ماذا يعتبروننا؟ عبيداً أم جماداً لا يحس ولا يشعر؟" قلت وأنا مطرقة "أتظن أنهم يهتمون؟ جلّ اهتمامهم هو حصول الإدارة على ما في المناجم، حتى لو تسبب ذلك في موت بضع عشرات منا.. أتظنهم يعبؤون بك؟ أتظنهم يهتمون لموتك أو حياتك؟" قال أدهم بحنق "ليس معنى هذا أن يستعبدونا كمتاع لا قيمة به.."

وقفت وأنا أصرح "لقد استعبدونا منذ البداية.. منذ قرروا تغييب ذكرياتنا وكأنها شيء لا يخصنا.. منذ قرروا التدخل في أجسادنا والعبث فيها لمصالحهم.. الله وحده يعلم ما فعلوا بنا غير ذلك.."

وأضفت بغضب "وأنتم ارتكبتُم لما أملوه عليكم دون اعتراض.. لقد اتهمونا ظلماً وأوقعوا علينا أحكاماً قاسية على ذنب لم نرتكبه، وأنتم رضيتُم بذلك والتزمتُم جانب الصمت.."

وقف أمجد بيننا وقال "لا داعي لهذا الجدل.. كوننا مصدومون لمدى حقارتهم لن يجعلهم يتوسلون لنا لنسامحهم.. يجب أن نغير واقعنا بأيدينا.. ولا نستسلم لهذا الذل من جديد.."

قالت بسمة بارتجافة من بين دموعها "وكيف نفعل ذلك وكل جهودنا تبوء بالفشل؟ نحن لم نتقدم خطوة واحدة منذ هروبنا.. كل ما نفعله هو إنقاذ أعناقنا منهم باستمرار.. فحتى متى نستمر بفعل ذلك؟"

قال أمجد بحزم "بل هناك تقدم كبير.. لقد عرفنا جوانب كنا نجهلها من المؤسسة.. وكسبنا وليد وبعض الحراس لصفنا.. كما أن عمي هنا"

اعتدل خالد عند هذا القول قائلاً بثقة مطلقة "طبعاً.. مادمت معكم فلا تستسلموا لليأس وتوكلوا على الله تعالى.. وسنريهم من نكون.."

ذلك اليوم، ولم يكن قد انتصف بعد، انتبه أحد السجناء أثناء عمله في المناجم انطفأ شاشة سواره تماماً.. نظر له بعدم فهم طال دقائق طويلة، ثم سأل أحد الرجال حوله "هل شاشة سوارك مطفأة؟"

نظر السجين الآخر لسواره للحظات قبل أن يغمغم بعدم فهم "أجل.. ما معنى هذا؟"

قال الأول بحاجبين مرتفعين "أتظن.. أيمكن أن يكون قد...."

قاطعه الآخر مجيباً قبل أن يطرح السؤال "لا يمكن.. لابد أن الإدارة تنوي لنا أمراً.. لابد أنها تختبرنا"

قال الأول بلهفة "لكنه لم يحدث من قبل.."

والتفت للسجناء من حوله الذين انهمكوا بأعمالهم الشاقة دون تذمر وصاح "السوار معطل يا رجال.. السوار معطل تماماً"

ارتفعت الرؤوس إليه بدهشة قبل أن تنتقل الأبصار للأساور بسرعة، بينما اقترب منه أحد الحراس وهو يقول بصرامة "اخرس وتابع عملك بصمت"

قال السجين متحدياً "وماذا ستفعل لو لم أطع الأمر؟ هل ستصعقني بشحناتك تلك؟"

ضربه الحارس بمؤخرة سلاحه قائلاً "ليس بعد.. سلاحك هذا يكفيك"

سقط السجين أرضاً والحارس يصيح بمن حوله "عودوا لأعمالكم دون شغب"

صاحت به امرأة من بعيد "وما الذي يجبرنا على ذلك الآن؟"

أضاف رجل آخر وهو ينظر لمن حوله يحثهم على موافقته "أجل.. لقد سئمنا استعبادكم لنا.. أنا سأخرج من هنا الآن.."

وافقه الجميع وهم يلقون ما يحملونه من عدة تساعد في أعمالهم، لكن لم يتحركوا من مواقعهم خطوات بسيطة إلا وجدوا أربعاً من الحراس يقفون سادين النفق الذي هم فيه وأسلحتهم مشهورة، وأحدهم يقول بصرامة "عودوا لمواقعكم.. لن نتردد في إطلاق الرصاص على من يخالف الأوامر"

قال أحد السجناء بسخرية "لا يمكنكم ذلك في هذا المكان الضيق.. ثم إنكم لن تصيبوا إلا شخصاً أو اثنين قبل أن يطيح بكم الآخرون.."

بدا أن حديثه يحفز السجناء الآخرين على التقدم، بينما لم يقم الحراس بالهجوم مدركين أن الأسلحة لن تكون ذات فائدة مع فارق العدد بينهم وبين السجناء.. وبإشارة من أحدهم، أسرع أحد الحراس للخروج من هذا النفق ليجري اتصاله بالإدارة.. بينما تعالت لهفة وتحدي في وجوه السجناء وهم يتقدمون شيئاً ما إنما بثقة نحو المخرج.. بإرادتهم الحرة هذه المرة..

وفي مبنى الإدارة، لم يكن قائد الحرس مسروراً برؤية الخراب الذي حلّ بجهاز الأساور وزاده غضباً ما ورد إليه من أخبار المنجم وثورة السجناء فيه.. فالتفت لأحد مساعديه قائلاً بحنق "أي غباء هذا الذي جعلك تغادر موقعك وتترك الجهاز في الغرفة الخالية دون مراقبة؟"

قال المساعد بضيق "لكن هذا حدث نادر لم يحدث من قبل.. كيف تتوقع أن أعرف بهرب هذا السجين بمساعدة أحد حراسنا واستهدافه للجهاز قبل هربه؟"

قال القائد بغيظ "لو أنك حاولت الانتباه لما يجري حولك لما حدث هذا.. لمَ قد يعتمد شخص ما لقطع توصيلات الكهرباء إن لم يكن ينوي التسبب بأذى في هذا المبنى.." وزفر بحدة قبل أن يقول "استبدلوا هذا الجهاز بجهاز جديد بأقصى سرعة" تردد المساعد للحظات قبل أن يقول "لكن.. الجهاز الآخر بحوزتنا معطل.." اتسعت عينا القائد وهو يهدر "ماذا؟" انكمش المساعد قليلاً وهو يقول "ألا تذكر؟ لقد وصل إلينا بعطل بالغ.. وقد طلبتُ من المصنع المسؤول عنه استبداله بآخر جديد، لكن شيئاً من هذا لم يحدث من عدة أشهر" صاح القائد "وتخبرني بهذا الآن؟.." انكمش المساعد أكثر وهو يشعر أن لكمة سترتطم بوجهه قريباً، لكن القائد استدار وغادر وهو يتحدث عبر جهاز الاتصال قائلاً بحدة "أوقفوهم.. اجعلوهم يطيعون الأوامر حتى لو اضطررتم لاستخدام العنف.. أسمعتموني؟ استخدموا كل ما يلزم لتمنعوهم من الثورة علينا"

خرج وليد والحراس ممن أتوا معنا لينفذوا الجزء الثاني من خطة خالد، والتي كالعادة لم يخبرنا عنها خالد أي شيء.. بينما بقينا نحن نتساءل عما سيحدث الآن بعد أن يدرك السجناء أمر تعطل جهاز الأساور.. لكن لم نكد نهناً بوجودنا في المخبأ إذ قال لنا خالد "يجب أن نرى ما يحدث في المناجم.. لنذهب هناك ولنأمل ألا تكون أسوأ توقعاتنا قد تحققت" نهض أمجد وأدهم والأول يقول "إذن لنسرع.." فنهضت بدوري قائلة "سأذهب أنا أيضاً.." هبّت بسمة واقفة بقلق، لكنها لم تجد مفرأً من اللحاق بنا طبعاً مع رفضها البقاء وحيدة في المخبأ.. التفتنا للحارس المقيد في جانب المكان، فتساءلت "ماذا نفعل به؟ هل نتركه هنا؟" نظر له خالد باهتمام لدقائق، ثم قال ملوحاً بيده "لا يهم.. اتركوه يرحل.. لن يضرنا في شيء بعد الآن، ولا أظن أننا سنعود لهذا المخبأ مجدداً" عجبت من ثقته الشديدة وكأنه يعلم ما سيجري لنا من أحداث منذ الآن.. لكننا لم نعترض ونحن نخرج خلفه من المخبأ تاركين الحارس وحيداً دون أن نملك ما نفك به قيده.. وهو لم يكذب خبراً إذ سرعان ما رأيناه يخرج بدوره من المخبأ ويجري في اتجاه آخر غير عابئ بقيد يديه.. اجتزنا الغابة بخطوات حثيثة ونحن لا نعلم ما الذي سنراه في الجانب الآخر منها حيث يقع المنجم..

في تلك الأثناء، كان وليد واثنين من الحراس الثلاثة يراقبون في جانب من المباني الإدارية بعد أن داروا خلف سورها متسللين.. كانت الساحة شبه خالية من الحراس وبابها مغلق تماماً بعد نجاح أمجد بالهرب منها، والفتحة التي تسببت بها مركبتهم قد تم ترقيعها ببعض الأسلاك لكي تمنع المتسللين للمباني من المرور مع الشحنة الكهربائية التي تسري عبرها..

غمغم وليد وهو يشير لجانب من المباني "الصناديق المطلوبة موجودة في هذه المخازن.. عادة ما يقومون بتخزينها في الجزء المغلق المكيف منها حفاظاً عليها من الحرارة.. يجب أن نتسلل إلى المخازن وننفذ مهمتنا مادامت الحراسة ضئيلة الآن"

قال أحد الحارسين "لكن كيف؟ هذه الأسلاك مكهربة وقد تقتلنا لو حاولنا تجاوزها.. والبوابة مغلقة ولا يكاد يمر شخص عبرها دون تفحص مكثف.. ثم ما الهدف مما نفعله الآن؟"

قال وليد "ليس الوقت ملائماً لشرح الأهداف.. ولدي الطريقة المناسبة لتجاوز هذه الأسلاك دون مخاطرة.. لكن علينا بعدها التصرف بسرعة لتنفيذ الخطة قبل أن يحكموا حصارهم علينا" وصل الحارس الثالث في تلك اللحظة وهو يحمل حقيبة صغيرة ناولها لوليد قائلاً "هذا ما أمكنني الحصول عليه من مستودع أقرب المساكن إلينا"

تساءل حارس آخر "ألم يرصدك أحد؟"

أجاب الثالث "لا.. المساكن خالية من السجناء والحراس لأنه وقت العمل في المناجم.. أما أجهزة المراقبة فقد رصدتني بالفعل، لكنني حاولت التصرف بشكل معتاد ولم أظهر وجهي لها أبداً"

غمغم وليد "جيد.. الآن لننتخلص من هذه الأسوار"

بدأ التسلسل بجانب السور وهو يتفحص ما خلفه بإمعان، ثم توقف فجأة وهم خلفه وأعدّ سلاحه قائلاً "كونوا مستعدين ونفذوا الخطة في الآن ذاته.."

استعد حارسان بسلاحيهما وهو يرفع سلاحه ويحكم التصويب، ثم أطلق الحارسان رصاصاتهما على أقرب أربع أجهزة للمراقبة ليحطماها بدقة، بينما أطلق وليد في الآن ذاته بضع رصاصات عبرت من خلال أسلاك السور الحديدية دون أن تلمسها لتصيب هدفها وهو صندوق معدني مخفي خلف أحد المباني.. ومع طلقات الرصاص بدأت شرارة كهربائية تخرج منه قبل أن ينفجر بشكل محدود مصدراً فرقعة عالية.. عندها هتف وليد "النسرع.."

تراكضوا نحو السور يتقدمهم وليد الذي لم يتردد بلمسه وهو يرتقيه بسرعة ومهارة.. فلحقه الحراس بعدما رأوا أنه لم يتضرر من ذلك بسبب انفجار مصدر الكهرباء الذي يغذي السور بها.. ثم قفزوا من فوقه مستغلين أحد المباني كغطاء عن أعين الحراس في الساحة..

لما سمع قائد الحراس تلك الفرقعة صاح بأحد الحراس "انهرب وانظر لمصدر هذه الضوضاء.. يبدو أن

اليوم لن يمرّ على خير أبداً”

ركض حارسان باتجاه الموقع الذي علا منه دخان أسود كثيف.. ولم تمض بضعة دقائق حتى عاد أحدهما للقائد يقول “لقد انفجر مولد الكهرباء الذي يتصل بالسور.. الأسوار كلها الآن لا تحمل أي شحنات كهربية.. ولا نعلم سبب انفجاره”

قطب القائد للحظة قبل أن يصيح “وما سبب تلك الرصاصات التي سمعناها قبل قليل؟.. هناك من يحاول التسلل للمباني الإدارية.. ابحثوا عنه، وإن لم تستطيعوا القبض عليه فلا أقلّ من أن تقتلوه قبل أن يهرب”

انطلقت جماعة من الحراس يبحثون عن المتسللين، دون أن يروا وليد ورفاقه الذين نجحوا بدخول المخازن عبر نافذة حطموها في المبنى، قبل أن يتسللوا لقلب المخزن الواسع المليء بصناديق مختلفة الأحجام.. انطلقوا في طريق يعرفونه جيداً، وقرب باب معدني مغلق بإحكام، قام وليد بضرب القفل بعقب سلاحه بقوة حتى تضعض القفل ثم ركل الباب ليفتح مظهراً الغرفة خلفه.. كانت الغرفة أبرد بكثير عن المخزن خارجه، وفيها عدد من الصناديق الكبيرة المصطفة وعليها علامة تحذير واضحة..

فقال وليد “لننفذ ما خططنا له ولنسرع بالمغادرة.. لابد أنهم أدركوا وجودنا الآن ويبحثون عنا” استغرق منهم تنفيذ عملهم عدة دقائق قبل أن يقوم وليد بتوزيع بضعة قنابل يدوية صغيرة في الغرفة صنعها من المواد التي أحضرها له الحارس من المستودع وأشعلها.. وخرجوا من الغرفة بعدها ليغلقوا الباب بإحكام باستخدام عارضة خشبية لتمسك طرفي الباب فلا يفتح بسهولة.. ثم ركضوا مبتعدين عن الموقع واختبئوا في جانب المخزن..

مرت لحظات انتظار طويلة، قبل أن يدوي انفجار محدود في المكان أطار العارضة الخشبية والباب يفتح بقوة وأحد طرفيه يميل جانباً بعد أن انفصل من موقعه.. ومن الباب المفتوح، كان الدمار واضحاً لأعينهم جعل الحارس يغمغم “أتظن هذا التصرف عقلائي؟” قال وليد وهو يغادر “هذه خطة خالد.. ولنا أمل أن يكون مدركاً لما يفعله حقاً..”

عندما انتشر أمر السوار المعطل في أرجاء المنجم (أ)، بدأ السجناء في ترك مواقعهم بشيء من التردد سرعان ما تحول لثقة وعدوانية وهم يندفعون خارجين ومتجاوزين الحراس الذين قاموا بتهديدهم بكل الطرق الممكنة.. لكن لا التهديد ولا الطلقات التي أطلقت في الهواء خارج المنجم نجحت في ردع السجناء.. وسرعان ما تجمع السبعون سجيناً تقريباً في ساحة المنجم يتصايحون بمزيج من

اللهفة والظفر وكأنهم نالوا حريتهم أخيراً.. وكما يحتم مثل هذا الموقف، فقد ارتقى أحد الرجال شديدي المظهر صخرة عالية وصاح في البقية "ما الذي يجبرنا على البقاء في هذا الذل المهين؟ نعم، نحن سجناء.. لكن لا شيء يجبرنا على العمل كعبيد مسخرين.. ولا ننال أي راحة أو حقوق على هذا العمل"

تعالى صيحات السجناء توافقه على هذا، بينما تجمع الحراس الذين لا يتجاوز عددهم العشرون في جانب المكان محاولين الاتصال بالإدارة للحصول على إمدادات.. أما الرجل فقد قال ملوحاً بيده "أنا سأتجه للمباني الإدارية.. سأغادر هذا الكويكب، ولا يمكن لقوة أن تمنعني.. ليس بعد أن تخلصنا من هذا السوار البغيض"

تحمس الكثيرون لهذا القرار، فنزل الرجل من موقعه وبدأ يصعد خارجاً من المنجم والجمع كله خلفه بحماس منقطع النظير.. لكن لم يكد يصل لحدود المنجم حتى وجد الحراس أمامه شاهرين أسلحتهم وأحدهم يقول بغلظة "هذا هو الإنذار الأخير.. لن نتردد في استعمال العنف معكم لترتدعوا عن هذه الحماقات.. السوار سيعود للعمل قريباً، فلا تضطرونا لاستخدامه"

تقدم بعض السجناء عدة خطوات والرجل الذي يقودهم يقول بسخرية "نريد أن نراكم تحاولون ذلك.. كم شخصاً ستسقطون منا قبل أن نسقطكم نحن؟ وتأكد أننا لن نتعامل معكم بأي رحمة.."

وتقدم عدة خطوات من مخرج المنجم، لكن الحارس أطلق سلاحه نحو الرجل لتصيبه الرصاصة في ساقه بحيث صرخ متألماً وهو يركع أرضاً.. لكن هذا لم يشعل في قلوب الآخرين إلا الغضب، فتدافعوا وهم يصرخون نحو الحراس الذين أصابهم هذا بالارتباك وهم لم يتلقوا الأوامر بقتل أحد.. أطلق بعضهم عدة رصاصات أصابت السجناء إصابات متفرقة وإن لم تكن خطيرة، لكن هذا زاد من غضب السجناء وجماعة منهم يلتحمون مع الحراس في معركة يدوية قصيرة قبل أن يفقدوهم أسلحتهم.. لكن هذا لم يكن كافياً لتهدة غضبهم وهم ينقضون على من أمامهم من الحراس بعنف شديد، قبل أن يتدافعوا خارجين من المنجم وقد أسكرتهم الحرية المؤقتة التي حصلوا عليها.. تقدمهم الرجل الذي ربط ساقه المصابة بمساعدة أحد السجناء، وبدأوا طريقهم بعزم نحو جهة محددة.. المباني الإدارية..

عندما وصل القائد لموضع الانفجار الذي أثار الانتباه في المخزن، وتفحص الغرفة ملاحظاً حائطها الذي اسودّ لونه وبقايا الصناديق التي تبعثرت قطعاً صغيرة، يتناثر معها فتات زجاج مبطل بسائل شفاف.. اسودّ وجهه حتى صار ينافس الحائط أمامه، وقال للمساعد الواقف بجواره "ولم تقبضوا على

الهاربين بعد؟”

قال المساعد بتوتر بالغ “لا.. لكن الحراس يمشطون الساحة كلها بحثاً عنهم”

غمغم القائد بغیظ “فات الأوان.. لقد هربوا بالتأكد..”

تساءل المساعد بقلق “ما الذي سنفعله الآن يا سيدي؟ هذه كارثة.. المخزون كله قد دمر ولم تبق نقطة واحدة صالحة من العقار”

قال القائد بصرامة “أول ما سافعله هو التحقيق في تهاون الحراس في المراقبة.. كيف يستطيع من تسلل للمباني الإدارية إحداث كل هذا الفساد والهرب دون أن يلحظه أحد؟”

كان المساعد منشغلاً بالإنصات لجهاز الاتصال، ثم قال بشيء من التردد “في الواقع، لقد هربوا الآن يا سيدي.. استخدموا إحدى مركباتنا في فتح ثغرة في السور والهرب بها..”

تغلب القائد على صدمته وهو يركل ما أمامه صائحاً “ما هذا الغباء.. لست أدري من أين يحضرون هؤلاء الحراس عديمي القيمة”

غمغم المساعد “لأنهم مجرد حراس أمن يا سيدي.. لا يمتلكون مهارات خاصة وأغلب اعتمادهم على الأسلحة في أيديهم وركونهم لكون السوار يغنيهم عن أي مجهود..”

فقال القائد بحدة “بعد انتهاء هذه الأزمة، سافصلهم جميعاً وأطلب من المؤسسة تعيين جنود ذوي خبرة في القتال.. ما عاد الوضع يطاق بهذه الطريقة”

وصله اتصال من أحد الحراس في المنجم (أ)، فتلقى نبأ ما حدث هناك بوجه محتقن غيظاً قبل أن يصيح “لِمَ لم تقتلوا منهم عدة رجال كي يقتنعوا أنكم جادون في تهديدكم؟ هل عليكم الرجوع إليّ في كل أمر؟”

نظر له المساعد بتعجب وهو يسمعه قول بحق “ماذا تعني أنهم قادمون للمباني الإدارية؟ ما الذي يحاولون فعله أولئك الجبناء؟”

سرعان ما أنهى الاتصال وهو يدمدم بغضب “أولئك الحمقى..”

وأسرع يغادر الموقع، فتبعه المساعد قائلاً بقلق “لكن يا سيدي.. ماذا عن العقار؟”

التفت القائد بحدة وصاح “ماذا عنه؟ لقد دمرت الصناديق تماماً.. فما الذي أستطيع فعله؟”

اندفع المساعد يقول بفزع “لكن.. أنسيت يا سيدي؟ لم يبق على زوال تأثير العقار إلا يومان.. ما الذي سنفعله عندها؟”

قطب القائد قائلاً “وماذا عن الحمولة الجديدة؟”

قال المساعد بشحوب “لن تصل قبل أسبوع..”

زفر القائد بحق وهو غارق في التفكير، ثم نظر للمساعد وقال بأمر “حاولوا تتبع أولئك الهاربين

باستخدام المركبة التي هربوا بها.. أنا سأذهب للتحدث مع ماك..”
هز المساعد رأسه وهو يهرع خارجاً.. مادام القائد سيجتمع بماك، وهو الرئيس الفعلي للمؤسسة على
الكويكب، فهذا معناه أن قراراً كبيراً سيتخذ بشأن ما جرى..
